

الإشكاليات الموضوعية

في قصة موسى عليه السلام

والعبد الصالح وتوجيهها

إعداد:

أ. م. د. خليل رجب حمدان الكبيسي

التدريسي في قسم التفسير وعلوم القرآن/ كلية العلوم الإسلامية

في الرمادي/ جامعة الأنبار.

الخبر النفوي: د. أحمد رجب حمدان الكبيسي

ملخص البحث

(الإشكاليات الموضوعية في قصة موسى والعبد الصالح وتوجيهها). يهدف البحث إلى دراسة القضايا المشكلة التي قد تفهم من القصة وتوجيهها، واستبيان الدقائق التفسيرية المستفادة من النص، وقد انتهت الدراسة إلى أن الخضر صاحب موسى هو نبي على الأرجح وأن ما وقع منه كان بوحى خاص به. وأن عدم صبر موسى مع وعده بالصبر لا يعد مشكلاً، ولا يقدح في العصمة، وكذلك سائر المعاني التي قد تبدو مشكلة أو غير متبن حكمتها.

Abstract

The Settlement of The Paradoxes of The Story of Musa and AL Abid AL-Salih

The aim of the paper is to settle the paradoxical cases of the story and to show the specific interpretation of the text. The Paper concludes that Musa's companion, AL-Khider, was a prophet, and what happened with him is a special case. Therefore, there was no problem if Musa did not fulfill his promise of being patient, and this did not affect his prophecy. ALL other paradoxes seethed in the same way.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فإن قصة (موسى ﷺ والعبد الصالح) هي إحدى القصص القصير المتسم بغاية الإيجاز، والتعبير الفني العالي، والتلون البلاغي الفريد في طبقة وسموه، بحيث روعي وضع كل جملة فيه وكلمة، بل كل حرف وحركة إيقاعية الوضع الفني المقصود. وهذه القصة وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، وفي موضع واحد من سورة الكهف، ولم تكرر في موضع آخر، على خلاف المعهود في قصص القرآن الكريم، ولا سيما قصص موسى ﷺ الذي اقتضى التبليغ تكريرها في مواضع من

الكتاب.

وحاولت في هذه الدراسة (الإشكاليات الموضوعية في قصة موسى ﷺ والعبد الصالح وتوجيهها) الإجابة عن الإشكاليات التي قد تبدو معترضة بين موضوعات النص وأغراضه، مع تلمس دقائق إشارات المعاني التي اشتمل عليها القول، واستجلاء خطوط التناسب بين موضوعات النص، والنكات التفسيرية التي اشتملت عليها القصة؛ لتكون ممهدة لما يتبعها من دراسة فيما انطوت عليه القصة من فنون الأساليب، وما انتظم في بنيتها من نكت التعبير، ومدى التأخي بين مادتها الموضوعية وبنيتها الفنية في نسق البيان.

واقترضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم على مبحثين تسبقهما هذه المقدمة وتعقبهما خاتمة:

المبحث الأول: دراسة الشخصيات الوارد ذكرهم في القصة.

المبحث الثاني: درست فيه النكت التفسيرية التي تضمنتها القصة، والإشكاليات الموضوعية التي قد تترشح من النص.

والله نرجوه العفو، وهو ولي القصد والسداد.

المبحث الأول: دراسة شخصيات القصة:

مورد القصة في القرآن الكريم:

هذه الحلقة من سيرة موسى ﷺ وردت في ثلاث وعشرين آية، ولا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع من (سورة الكهف) المكية. والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه (مجمع البحرين)، ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى، هل كان ذلك في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل، أم بعد خروجه بهم منها؟ ومتى؛ أبعد الخروج قبل أن يذهب بهم إلى الأرض المقدسة، أم بعد ما ذهب بهم إليها، فوقفوا حيالها لا يدخلون لأن فيها قوماً جبارين؟ أم بعد ذهابهم في التيه،

مفرقين مبددين؟ ولغرض بيان موضوع الدراسة، ولتلافي التكرار، أثبت نصها في القرآن الكريم، إذ يقول عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاةً لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَى أَثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُسُلًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴿. الكهف: ٦٠-٨٢.

تحديد المراد بشخصيات القصة:

أولاً- المراد بموسى في القصة:

المراد بموسى المذكور في هذه القصة هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة، يؤيد هذا ما أخرجه الشيخان وأصحاب السن وغيرهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره، كما سيرد قريباً، وكل قول سواه فهو باطل.

وذهب آخرون إلى أن المراد به موسى آخر، واختلفوا فيه، فقيل: هو موسى بن ميثا (أو منشأ) بن يوسف بن يعقوب. وذكروا أنه كان ليوسف عليه السلام ولدان: أفرائيم وميثا، فولد إفرائيم: نون، وولد نون: يوشع، وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته، وأما ولد ميثا فقيل: إنه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران. وعن محمد بن إسحاق: أن موسى هذا كان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران.^(١) وهو قول جمهور اليهود.^(٢) وتبعهم في هذا الزعم بعض المؤرخين الذين يأخذون عن كتبهم، منهم ثوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي،^(٣) فزعموا أن موسى هنا هو موسى بن ميثا (أو منشأ) بن يوسف بن يعقوب، وقيل: موسى بن إفرائيم بن يوسف، وهو موسى الأول.^(٤)

ويرد هذا القول بما ثبت بالصحيح الصحيح المتفق عليه في كونه موسى بن عمران عليه السلام، فعن سعيد بن جبير قال: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ تَوْفَا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي بَنُ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى قَامَ

١ البدء والتاريخ ٧٨/٣؛ والنكت والعيون ٤٨٧/٢.

٢ ينظر: المعارف: ٤١؛ البدء والتاريخ ٦٩/٣؛ والتفسير الكبير ١٤٣/٢١.

٣ ويقال إنه دمشقي، وكانت أمه زوجة كعب الأحبار. ينظر: البداية والنهاية ٣٤٤/١.

٤ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/١١؛ وروح المعاني ٣١٠-٣١١.

خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ: فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَزِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحِينَئِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثُمَّ...» الحديث،^(١) ثم إن الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، لأنه أصبح قاعدة مطردة في اصطلاحه، فإذا ما أطلق انصرف إليه إلا لدليل مرجح، ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة.^(٢)

وإنما أنكره أهل الكتاب؛ لإنكارهم تعلم النبي من غيره، وقالوا:

- ١- إن الخضر على القول بنبوته لم يبلغ درجة موسى عليه السلام، فكيف يتعلم منه؟
- ٢- إن موسى عليه السلام بعد الخروج من مصر كان هو وقومه في التيه، وتوفي فيه، ولم يخرج منه إلا بعد وفاته؛ والقصة تقتضي خروجه عليه السلام من التيه؛ لأنها لم تكن وهو في مصر قبل الخروج، وهذا بإجماع.
- ٣- إن مثل هذه الغيبة تقتضي أياماً، ولو وقعت لعلمها كثير من بني إسرائيل الذين كانوا معه، ولو علمت لنقلت؛ لتضمنها أمراً غريباً تتوافر الدواعي على نقله،

١ صحيح البخاري: برقم (٤٣٥٦) ورقم (٤٧٢٥ و ٤٧٢٦) كتاب التفسير؛ صحيح مسلم: برقم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر. وأخرجه أصحاب السنن والمسانيد أيضاً، مسند أحمد: رقم (٢٠١٩٧ و ٢٠١٩٨ و ٢٠١٩٩ و ٢٠٢٠٠ و ٢٠٢٩) باب حديث ابن عباس؛ سنن أبي داود: رقم (٤٧٠٥ و ٤٧٠٦ و ٤٧٠٧)؛ وسنن الترمذي: رقم: (٣١٦١ و ٣١٦٢ و ٣١٦٣). وقول موسى عليه السلام بأنه أعلم ليس متناقضاً مع إخبار الله له بأن الخضر أعلم، لأن قول موسى عليه السلام بأنه أعلم، يعني: فيما يعلم، وهذا ما تقتضيه النبوة والرسالة، وأن الخضر أعلم منه فيما يعلم، فكل منهما أعلم من صاحبه بوجه، فلا تناقض. كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْبِعُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الزخرف: ٤٨. والمراد بكون النبي أعلم أهل زمانه أي ممن أُرْسِلَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ مُوسَى مُرْسَلًا إِلَى الْخَضِرِ. ينظر: فتح الباري ١/٢١٩؛ وروح المعاني ٣٣٢/١٥.

٢ التفسير الكبير ٢١/٤٣؛ وفتح الباري ١/٢١٩.



فحيث لم يكن النقل لم تكن القصة. وأجيب عن هذه الإشكالات:

إن الخضر إن كان نبيا، فلا غضاضة في تعلم نبي من نبي. وإن لم يكن نبيا، فلا يمتنع أن يتعلم النبي من غير النبي أمورا لا تتعلق بشريعته، ولا تدخل فيما يحتاج إلى الوحي فيه.^(١) إذ لا يبعد عقلا تعلم الأفضل الأعلّم شيئا ليس عنده ممن هو دونه في الفضل والعلم. ومن الأمثال المشهورة: قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسقاط.^(٢)

وإن عدم خروج موسى عليه السلام من التيه غير مسلم، وكذلك اقتضاء ذلك الغيبة أياما، لجواز أن يكون على وجه خارق للعادة، كالتيه الذي وقوا فيه، وكنتق الجبل عليهم، وغير ذلك من الخوارق التي وقعت فيهم، وعليه يقال: يجوز أن يكون عليه السلام خرج وغاب أياما، دون أن يعلموا أنه عليه السلام ذهب لهذا الأمر، وظنوا أنه ذهب يناجي ويتعبد، ولم يوقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع؛ لعلمه بسرعة استكراهم، وأوصى فتاه بكتّم ذلك عنهم أيضا. ولا سيما وأن حالهم في التيه لا يساعدهم على معرفة كل ما يحدث بينهم، وأن حال موسى عليه السلام ليس كحالهم فيه.

وجوز أن يكون غاب عليه السلام وعلموا حقيقة غيبته، لكن لم يتناقلوها جيلا بعد جيل؛ لتوهم أن فيها شيئا مما يحط من قدره الشريف عليه السلام، فلا زالت نقلتها نقل حتى هلكوا، كما هلك أكثر حملة التوراة، ومثل هذا التحريف في تاريخهم، أو التبديل عن قصد أو ضياع أو نسيان هو كثير عندهم. ويجوز أن يكون قد بقى منهم قليل إلى زمن نبينا ﷺ فتواصوا على كتمها وإنكارها كعادتهم؛ ليوقعوا الشك في قلوب ضعفاء المسلمين، ولا يخفى أن باب الاحتمال واسع. وبالجملّة لا يبالى بإنكارهم مع إخبار الله تعالى به ورسوله ﷺ، فإن القرآن والسنة ظاهرة في ذلك، مع جواز الوقوع

١ فتح الباري ١/٢١٩.

٢ الأسقاط جمع السقط، والسقط: هو ما سقط من الشيء وتهُوون به من زدالة الطعام والثياب. ويطلق أيضا على من لا يُعدّ في خيار الفتيان وهو الدنيء الرذل كالمساقط. والأسقاط جمع السقط مُحَرَكَةً: الَّذِي يُعْبَى فِيهِ الطَّيْبُ وما أَشَبَّهه من أَدْوَابِ النِّسَاءِ. تاج العروس مادة: سقط وسقط.

ثانياً - فتى موسى:

اختلفوا في فتى موسى عليه السلام على أقوال:

القول الأول: وهو الذي نصت عليه السنة الصحيحة وأقوال الصحابة أنه: يوشع

بن نون، ففي صحيح البخاري وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ انْطَلَقَ وَأَنْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ». (٢) وهو يوشع بن نون بن إفرائيم (أو إفرائيم) بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، صاحب موسى، وخادمه، وخليفته على قومه من بعده. وذكرنا بأنه هو ابن أخت موسى، وسمي فتاه لملازمته إياه في العلم، أو في الخدمة. (٣)

القول الثاني: فتى موسى هو أخو يوشع، وكان صاحباً لموسى عليه السلام في هذا

السفر. (٤) وهو مردود بصريح الحديث.

والقول الثالث: روي عن الحسن أنه قال: هو عبده. قال القفال: واللغة تحتمل

ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِجَالِهِمْ﴾ يوسف: ٦٢، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمْتِي كُلُّكُمْ عبيد الله وكلُّ نسائكم إماء الله ولكن ليقلَّ غلامي وجاريتي وفتاتي». (٥) وهذا يدل على أنهم كانوا

١ ينظر: فتح الباري ١/٢١٩-٢٢٠؛ وروح المعاني ١٥/٣١٠.

٢ صحيح البخاري: رقم: (١١٩) باب ما يستحب للعالم، و(٣١٤٩) باب حديث الخضر مع موسى، و(٤٣٥٦) كتاب التفسير؛ وصحيح مسلم: رقم: (٤٣٨٥) باب من فضائل الخضر.

٣ النكت والعيون ٣/٣٢١؛ والبداية والنهاية ١/٣٤٤.

٤ التفسير الكبير ٢١/١٤٤؛ والنووي على صحيح مسلم ١٥/١٣٨.

٥ صحيح مسلم: رقم (٤١٧٧) باب حكم إطلاق لفظ العبد؛ ومسند أحمد: (٩٥٨٥) حديث أبي هريرة.

يسمون العبد فتى، والأمة فتاة.^(١) ولا يمنع لغة أن يطلق لفظ الفتى على يوشع؛ لأنه كان ملازماً له يأخذ عنه العلم، ويقوم بما يقوم به العبد مع سيده، فهو يخدمه، ويقوم على مساعدته في أمره، وإن لم يكن عبداً حقيقة.^(٢)

فإن قيل: فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة، ثم لم يذكر بعد ذلك؟

فالجواب: أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبع، ولذلك لم يرد ذكره.^(٣) ويمكن أن يكون دوره قد انتهى بلقاء موسى مع الخضر، فعاد من حيث جاء، بصرف موسى له.^(٤)

وأما الرواية التي أوردها ابن جرير في تفسيره عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه؟ فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال: شرب الفتى من الماء (ماء الحياة) فخلد، فأخذ العالم، فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر، فإنها تموج به إلى يوم القيامة؛ وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.^(٥) قال ابن كثير والعسقلاني: إسناد ضعيف، فيه الحسن متروك، وفيه أبوه غير معروف.^(٦)

ثالثاً - العبد الصالح:

لم يبين القرآن اسم صاحب موسى عليه السلام، فاكتمى بوصفه بالعبد الصالح، وأبهم شخصيته:

١- من هو العبد الصالح: نصت السنة الصحيحة على أن العبد الصالح هو

١ الجامع لأحكام القرآن ١١/١١؛ وروح المعاني ١٥/٣١١.

٢ ينظر: معاني القرآن، الفراء ١٥٤/٢؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ١٣٨/١٥.

٣ ينظر: فتح الباري ١/٢٢٠.

٤ إرشاد العقل السليم ٥/٢٣٥.

٥ جامع البيان ١٨/٦٧.

٦ تفسير ابن كثير ٥/١٨٨؛ وفتح الباري ٨/٤١٥.

الخضر عليه السلام، ونقل إجماع العلماء عليه.^(١) فكل قول سواه مردود.

والخضر لقب له، وذكروا أن كنيته: أبو العباس. وكان من أبناء الملوك.^(٢) وإنما لقب بالخضر لأنه كان لا يقف موقفاً إلا اخضر ذلك الموضع، من أثر بركته، فهو الموصوف بالخضرة، وهي رمز البركة. وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في الخضر قال: «إنما سمي خضراً؛ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تحته تهتز خضراء».^(٣) وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».^(٤) والمراد بالفروة هاهنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات. وقيل: المراد بذلك وجه الأرض. ومنه يقال لجلدة الرأس فروة.^(٥)

وأما اسمه: فذكر ابن قتيبة أن اسمه: بلياً بن مَلْكان بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام،^(٦) وقيل: إيليا، والأول أشهر، فيكون ابن عم الجد الجد الثاني لإبراهيم عليه السلام، وقيل: إنه إلياس، وقالوا: إنه المذكور في القرآن في سورة يس.^(٧) وليس لهذا دليل يقتضي التسليم له.

وزعم بعض العلماء أن الخضر هو جرجس، وقيل: هو من ذرية عيسو بن إسحاق. وقيل: هو نبي بعث بعد شعيب. وجرجس المعني هو المعروف باسم مَار جرجس. والعرب يسمونه: مَار سَرْجس كما في (كتاب سيبويه).^(٨) وهو من أهل

١ أضواء البيان ٣/٣٨٧.

٢ تهذيب الأسماء واللغات، النووي ١/١٧٦. وقال: هو بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما في نظائره؛ وتفسير ابن كثير ٥/١٨٨.

٣ المسند ٢/٣١٢ رقم (٧٧٦٥) حديث أبي هريرة، صحيح.

٤ صحيح البخاري برقم (٣٤٠٢) عن أبي هريرة.

٥ تفسير ابن كثير ٥/١٨٨.

٦ المعارف، ابن قتيبة: ٤٢؛ وتهذيب الأسماء ١/١٧٦.

٧ ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٣٦٤.

٨ الكتاب: سيبويه ٣/٢٩٦؛ والمقتضب، المبرد ٤/٢٤ وأوردا فيه بيت شعر لجريز.

فلسطين ولد في الرملة في النصف الآخر من القرن الثالث بعد مولد عيسى ﷺ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ وهو من الشهداء. وهذا ينافي كونه في زمن موسى ﷺ. (١) وجميع هذه الأقوال لا يسندها دليل، كما لا يعارضها مثله، فهي مجرد ظنون نسكت عن الحكم عليها حتى قيام الدليل.

وحكى النووي وغيره في كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة: قولين، ومال هو وابن الصلاح والعسقلاني إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم، وما جاء من ذكر له في بعض الأحاديث. (٢)

وقد ضعف عدد من العلماء هذا الرأي؛ لأن هذا القول لم يبين على أدلة مقبولة متعارفة، وإنما هو مستند إلى أقوال محكية عن بعض الناس من مشاهداتهم وأحوالهم. وهم بعض الصوفية غالبا. (٣)

وأما الأحاديث التي استدلوا بها فقال ابن كثير عنها: ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها أحاديث التعزية وإسنادها ضعيف. (٤)

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم وفاته، واحتجوا بقوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» الأنبياء: ٣٤، ويقول النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»، (٥) ويأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده، ولا قاتل معه. ولو كان حيا لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنه

١ التحرير والتنوير ٣٦٣/١٥.

٢ فتاوى ابن الصلاح: ١٨٥، وذكر بأن هذا هو قول الجماهير من العلماء والصالحين والعامّة، وإنما شذّب بإنكار ذلك بعض أهل الحديث. وتهذيب الأسماء، النووي ١٧٦/١-١٧٧؛ شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٥/١٥. ونسب هذا القول للجمهور: فتح الباري ٧٥/٢، ١٨٧؛ وحاشية الجمل ٣٥/٣.

٣ التحرير والتنوير ٣٦٣/١٥.

٤ تفسير ابن كثير ١٨٧/٥. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤١/١١.

٥ رواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٦٣) من حديث عمر ﷺ.

عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع النّقلين: الجنّ والإنس، وقد قال: «لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلّ إلا أن يتبعني»،^(١) وأخبر قبل موته بقليل: أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل.^(٢)

يقول الآلوسي بعد أن عرض أقوال الفريقين وحججهم:^(٣) «ثم اعلم بعد كل حساب: أن الأخبار الصحيحة النبوية، والمقدمات الراجحة العقلية، تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أيّ مساعدة، وتعاضدهم على دعواهم أيّ معاضدة، ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار إلا مراعاة الحكايات المروية، والله أعلم بصحتها عن بعض الصالحين الأخبار، وحسن الظن ببعض السادة الصوفية».

ويبدو أنهم اتفقوا على أنه معمر، ولا يصح أن يكون من بني إسرائيل، إذ لا يجوز أن يكون مكلفاً بشريعة موسى ويقره موسى على أفعال لا تبيحها شريعته. فهو من أمة أخرى غير مبعوث موسى إليها، وعلم موسى بشأنه مما أوحاه الله إليه.^(٤)

٢- وصفه: اختلفوا في الخضر هل كان ملكاً أو بشراً على قولين:

أحدهما: كان ملكاً أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن.

١ رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، مسند أحمد: رقم (١٤١٠٤) حديث جابر بن عبد الله؛ مسند أبي يعلى ٥/ ١٨٩، وفيه مجالد بن سعيد ضعيف، وله طرق أخرى فيها ضعف أيضاً؛ ومجمع الزوائد ١٧٤/١.

٢ الجامع لأحكام القرآن ٤١/١١-٤٥ ونسبه للجمهور؛ وتفسير ابن كثير: ٥/ ١٨٧-١٨٨. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (١١٣) باب السمر في العلم؛ ومسلم برقم (٣٦٢).

٣ روح المعاني ١٥/ ٣٢٨.

٤ فتح الباري ١/ ٢١٩؛ والتحرير والتنوير ١٥/ ٣٦٤.

الثاني: كان بشراً من الإنس.^(١)

وكونه بشراً أرجح؛ لأن القول بكونه ملكاً لا يشهد له دليل مرجح، وإنما هو يستند على استبعاد أن تقع مثل تلك الأحداث التي وقعت من الحضر من بشر، وكونه بشراً هو الذي يقتضيه ظاهر القرآن والسنة، ولا ينبغي استبعاد أن تقع مثل تلك الأحداث من بشر بتعليم الله وتقديره وحكمته.

واختلف من قالوا: إنه بشر، هل هو نبي، أو ولي؟ لأن هذه الرحمة والعلم اللدني اللذين ذكر الله امتنانه عليه بهما جاءت مجملة، ولم يبين هنا هل هما رحمة النبوة وعلمها، أو رحمة الولاية وعلمها؟

القول الأول: من العلماء من ذهب إلى أنه نبي رسول، لأن مثل تلك الأفعال الصادرة منه لا سيما قتل الغلام لا يمكن إيقاعها إلا ممن كانت لديه شريعة يتصرف ويفعل على وفق ما جاء به، وهي شريعة مخصوصة به، أوحى إليه بها أن يعمل بالباطن وخلاف الظاهر.^(٢) ورد العسقلاني: ونقل الاتفاق على كونه ليس برسول.^(٣)

القول الثاني: إنه لم يكن نبياً ولا رسولا، وإنما كان رجلاً صالحاً ولياً، أودعه الله تعالى من علم باطن الأمور ما لم يودع غيره، وبه قال كثيرون،^(٤) واستدلوا له بما يأتي:

إن النبي هو الداعي، والخضر كان مطلوباً ولم يكن داعياً طالباً.

١ النكت والعيون ٣/٣٢٥.

٢ ينظر: روح المعاني ١٦/٢١.

٣ فتح الباري ١/٢٢١.

٤ ينظر: النكت والعيون ٣/٣٢٥؛ الرسالة القشيرية ٢/٥٢٦، وقال: (إنه كان ولياً، ولم يكن نبياً)؛ وتهذيب الأسماء، النووي ١/٢٣٩؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٣٥.



إن النبوة لا تثبت بأخبار الآحاد.

إن الأخبار المتواترة من الكتاب والسنة تؤكد أنه لا نبي بعد نبوة نبينا ﷺ، وقد دلت الأخبار على وجوده بعده.

وصفه الله تعالى بالعبودية، وذكر منته عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا، لذكر ذلك كما ذكره مع غيره.

إن قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ لا يدل على أنه نبي، وإنما يدل على الإلهام والتحديث، وهو يجوز وقوعه لغير الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾، القصص: ٧، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحل: ٦٨، وعلى هذا فإن تعليمه كان عن طريق الإلهام، وما فعله من الغرائب كان ملهما فيها، واستدل عليه عن طريقه.^(١)

وأجيب عنه: بأن النبوة المنفية هي التي تدعى بعده، وأما الخضر فنبوته سابقة على زمانه،^(٢) وهذا على حد قول من قال باستمرار حياته، وأما على القول بموته فلا منافاة، وأما أخبار الآحاد هنا فهي لا تثبت أصلا من أصول الدين، وإنما تثبت نبوة نبي من الأمم الماضية، ولا محذور في هذا، إذا قامت الدلائل الصريحة عليه.

القول الثالث: إنه كان نبيا، وبه قال الجمهور.^(٣) واحتجوا عليه بوجوه:

الأول: إن الرحمة تكرر إطلاقها في القرآن على النبوة، فمن إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، أَهُم يَقْسِمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾ الزخرف: ٣١-٣٢، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ

١ تفسير السعدي ٤٨٢/١.

٢ الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١١.

٣ فتاوى ابن الصلاح: ١٨٥؛ النووي على صحيح مسلم ١٣٥/١٥؛ الجامع لأحكام القرآن ١٦/١١؛ وفتح الباري ٢١٩/١ و ٢٢٠.

الكتاب إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿ القصص: ٨٦، ﴿فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الدخان: ٤-٦، ولذا فإن المراد بالرحمة في قوله: ﴿أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ رحمة نبوة. (١)

ولقائل أن يقول: نسلم أن النبوة رحمة، لكن لا يلزم أن تكون كل رحمة نبوة؛ لأن الرحمة وإيتاء العلم اللدني أعم من كون ذلك عن طريق النبوة وغيرها. والاستدلال بالأعم على الأخص فيه أن وجود الأعم لا يستلزم وجود الأخص كما هو معروف. (٢) ويمكن أن يجاب عنه بأن الرحمة المذكورة هنا قد دل السياق وقرائن الأحوال على أنها النبوة، ولا يعارض ذلك أن تأتي الرحمة في موضع آخر لما هو أعم بدلالة سياقها.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، وهذا يقتضي أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد، وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبيا، يعلم الأمور بالوحي من الله. يقول الشنقيطي: إن هذا العلم اللدني علم وحي، وأن العلم المؤتي من الله تكرر إطلاقه في القرآن على علم الوحي، ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ يوسف: ٦٨ الآية، إلى غير ذلك من الآيات. (٣) قال الرازي: وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله، وذلك لا يدل على النبوة. (٤)

الحجة الثالثة: إن موسى عليه السلام قال: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ الكهف: ٦٦،

١ تفسير ابن كثير ٥/١٨٧؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٧.

٢ التفسير الكبير ٢١/١٤٨؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٧.

٣ أضواء البيان ٣/٣٨٧.

٤ التفسير الكبير ٢١/١٤٨.

والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم. لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي.^(١) وهذا أيضا فيه نظر، لأن النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي باعتبارها صار نبياً، أما في غير تلك العلوم فلا مانع منه.

الحجة الرابعة: قد أظهر ذلك العبد الترفع على موسى حيث قال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، وأما موسى فإنه أظهر التواضع له حيث قال: ﴿لَا أُغْنِي لَكَ أَمْرًا﴾، وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى، ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي. قال الرازي: وهذا أيضاً ضعيف، لأنه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها.^(٢) والتواضع الذي أظهره هو من باب حسن الأدب والخلق في العلم، ولا يقتضي ترفعا ولا انخفاضا في المرتبة.

الحجة الخامسة: إن قوله في القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، معناه: فعلته ووقفت عليه بوحى الله، وهو يدل على النبوة.^(٣)

وقال الشنقيطي:^(٤) «ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، أي: وإنما فعلته عن أمر الله (جل وعلا). وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله (جل وعلا). ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعيب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى. وقد حصر تعالى طرق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾

١ النكت والعيون ٣/٢٢٦؛ والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦.

٢ التفسير الكبير ٢١/٤٨١.

٣ الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦؛ فتح الباري ١/٢٢٠؛ وتفسير ابن كثير ٥/١٨٧.

٤ أضواء البيان ٣/٣٨٧.

الأنبياء: ٤٥، و(إنما) صيغة حصر». ومع ذلك قال عنه الرازي: وهذا أيضاً دليل ضعيف وضعفه ظاهر، فقد يحصل مثله لغير النبي، وبغير وحي.^(١)

الحجة السادسة: كيف يجوز قتل النفس البريئة ظاهراً، وإتلاف أموال الغير بدليل الإلهام والخواطر؟ فدل هذا على كونه نبياً.^(٢) وللعلماء أدلة أخرى تتظر في مظانها. والإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب يتلج له الصدر من غير استدلال بوحى ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه. أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كالإلهام عند غيرهم، لأنهم معصومون بخلاف غيرهم.^(٣)

والمقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به، وما يقوله بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام هم يقولونه في حق الملهم دون غيره، وليس هو حجة فيما قرره المحققون منهم فيما خالف الشريعة، لأنه غير معصوم فلا ثقة بخواطره، فهو لا يأمن دسيسة الشيطان. ولهذا قالوا: «كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل»^(٤) وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات. وممن صرح بعدم حجية الإلهام الإمام الشعرائي، قال: قد زل في هذا الباب خلق كثير فضلوا وأضلوا. وأكد المحققون منهم على أن الإلهام لا يحل حراماً ولا يحرّم حلالاً، وأن من ادعى حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فاتهمه في دينه، ومن ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم شرعي فهو غلط ومردود عليه، حتى وصفوا مثل ذلك بالزندقة.^(٥)

١ التفسير الكبير ٢١/١٤٨-١٤٩.

٢ روح المعاني ١٦/١٧؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٨.

٣ روح المعاني ١٦/١٧؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٨.

٤ الرسالة القشيرية ١/١٩٧.

٥ ينظر في هذه الأقوال ونحوها: روح المعاني ١٦/١٧ و١٩؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٧.

يقول الآلوسي: وقال بعضهم: كان ذلك عن إلهام، ويلزمه القول بأن الإلهام كان حجة في بعض الشرائع، وأن الخضر من المكلفين بتلك الشريعة، وإلا فالظاهر أن حجبيته ليست في شريعة موسى عليه السلام، وكذا هو ليس بحجة في شريعتنا على الصحيح، ومن شذ وقال بحجبيته: اشترط لذلك أن لا يعارضه نص شرعي، فلو أطلع الله تعالى بالإلهام بعض عباده على نحو ما اطلع عليه الخضر عليه السلام من حال الغلام، لم يحل له قتله، وما أخرجه مسلم وأحمد أنه قال: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب إليه: إن كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم، إنما قصد به ابن عباس - كما قال السبكي - المحاجة والإحالة على ما لم يكن، قطعاً لطمعه في الاحتجاج بقصة الخضر. وليس مقصوده (رضي الله تعالى عنه) بأنه إن حصل ذلك يجوز القتل.^(١)

وبالجملة فلا يخفى أنه لا طريق تعرف به أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، والآيات والأحاديث الدالة على أن الحجة لا تقوم على العباد إلا بالرسول لا تحصي، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء: ١٥، ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهاماً، وقال: ﴿رَسُولاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء: ١٦٥، قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ طه: ١٣٤.^(٢)

وقد ذهب قوم إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة، فقالوا: إنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامّة، وأما الخواص والذين علم الباطن فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، لصفاء قلوبهم عن الأكدار،

١ روح المعاني ١٦/١٧. والحديث أخرجه مسلم برقم (٣٣٧٧) باب النساء الغاريات؛ وأحمد: (٢٥٥٣) حديث ابن عباس.

٢ الجامع لأحكام القرآن ١١/٤٠؛ وأضواء البيان ٣/٣٨٨. وينظر: روح المعاني ١٦/٢١، وفيه تفصيل آراء العلماء في حجية الإلهام، وأقوال الصوفية في ذلك ١٦/١٧-٢٢.

فتتجلي لهم الحقائق الربانية، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى عليه السلام،^(١) ويستشهدون بالحديث: «يَا وَابِصَةً: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، الْبِرَّ مَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمَ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسَ وَأَفْتَوَكَ».^(٢)

وتعقب القرطبي مسلك هؤلاء بقوله: وهذا القول زندقة وكفر، لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته، وأنفذ كلمته؛ بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله، السفراء بينه وبين خلقه، المبينين لشرائعه وأحكامه، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ الحج: ٧٥، وقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤، وأمر بطاعتهم في كل ما جاءوا به، وحث على التمسك بما أمروا به، فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طرقاً أخرى يعرف بها أمره غير الطرق التي جاءت بها الرسل، يستغني بها عن الرسول، فهو كافر؛ لأن من قال إنه يأخذ عن قلبه، وأن الذي يقع فيه هو حكم الله، وأنه يعمل بمقتضاه، فهو ليس بحاجة منه إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت خاصة النبوة لنفسه، وقال برسالة جديدة.^(٣)

رابعاً - شخصيات أخرى في القصة:

أصحاب السفينة لم يذكرهم القرآن الكريم سوى بوصفهم بالمساكين، وهم الفقراء الذين يملكون شيئاً، لكنه لا يسد كفايتهم، وهذا أحد استدلالات الإمام الشافعي على أن الفقير أشد حاجة من المسكين، فالفقير هو الذي لا يجد شيئاً، وهؤلاء يملكون سفينة وسماهم مساكين.^(٤)

١ فتح الباري/١/٢٢١.

٢ مسند أحمد، رقم (١٧٣٢٠) حديث وابصة بن معبد.

٣ الجامع لأحكام القرآن ١١/٤٠-٤١.

٤ الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٤.

وأما الملك الذي كان يغتصب السفن فقد اختلفوا فيه، وذكروا أن اسمه: هُدَدُ بْنُ بُدَدَ، وقد ورد أيضا في رواية للبخاري، قال: «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ» وَكَانَ أَمَامَهُمْ، قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَمَامَهُمْ مَلِكٌ) يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ: هُدَدُ بْنُ بُدَدَ^(١). وهو مذكور في التوراة في ذرية (العيص بن إسحاق) وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة.^(٢)

الغلام في القصة:

وأما الغلام فقد ورد في رواية البخاري: «وَالْغُلَامُ الْمَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ: جَيْسُورٌ»، وقيل غير ذلك،^(٣) واختلفوا في عمره، هل كان بالغا عند قتله أم لا؟ على قولين: قال الجمهور: لم يكن بالغا، واستدلوا من وجوه:

١- إن موسى ﷺ قال: (زكية)، وفي قراءة (زاكية)^(٤)، أي: لم تذب، وهو الذي يقتضيه لفظ (الغلام) أيضا، فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ، وهي حقيقة فيه، وتقابله الجارية في النساء.^(٥)

٢- كان الخضر قتله لما علم من سيرته المستقبلية، فإنه طبع كافرا كما في صحيح الحديث، فعن أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ

١ صحيح البخاري، رقم: (٤٣٥٧)، كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف.

٢ تفسير ابن كثير ١٨٤/٥.

٣ الجامع لأحكام القرآن ٢٢/١١؛ وروح المعاني ٣٣٨/١٥.

٤ قرأ الكوفيون وابن عامر: (نفسا زكية) بتشديد الياء من غير ألف، والباقون بالآلف وتخفيف الياء (زاكية). التيسير في القراءات السبع، الداني: ١٤٤، فالحجة لمن قرأ: (زاكية) أنه أراد أنها لم تذب قط، والحجة لمن قرأها: (زكية) أنه أراد أنها أذنبت ثم تابت. الحجة في القراءات السبع: ٢٢٧.

٥ شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٠/١٥؛ الجامع لأحكام القرآن ٢٢/١١؛ وروح المعاني ٣٣٨/١٥.



طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»^(١) وأنه لو أدرك لأرهُق أبويه كفرا.

٣- قتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك، فإن الله تعالى الفَعَال لما يريد، العالم بأسرار القلوب.

وقال جماعة: إنه كان بالغاً، واستدلوا عليه من وجوه:

١- إن العرب تبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأخيلية:^(٢)

شَفَاها مِنْ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بها غُلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ سَفَاها

وقال صفوان لحسان:^(٣)

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

٢- قوله: (بغير نفس) يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، فجاز قتله لأنه كان بالغاً عاصياً.

٣- لقراءة أبي وابن عباس: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)،^(٤) والكفر والإيمان من صفات المكلفين، ولا يطلق على غير مكلف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبواه كانوا مؤمنين بالنص، فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه. كما أن الغلام في اللغة مشتق من الاغتلام، وهو شدة الشبق.^(٥)

١ صحيح مسلم: برقم (٤٣٨٦) باب: من فضائل الخضر؛ سنن أبو داود: برقم (٤٠٨٣) و (٤٠٨٢) باب القدر؛ وسنن الترمذي: رقم: (٤٣٥٧) باب وإذ قال موسى لفتاده.

٢ البيت من قصيدة مدحت بها الحجاج بن يوسف. الأغاني، الأصفهاني ١١/٢٤٩.

٣ قد كان حسان رضي الله عنه قال شعراً يعرض فيه بصفوان بن المعطل ويمن أسلم من العرب من مضر فاعترضه ابن المعطل وضربه بالسيف وقال البيت. الأغاني ٤/١٦٣.

٤ صحيح البخاري: رقم (٣١٤٩) باب حديث الخضر مع موسى. وينظر: البحر المحيط ١٥٤/٦.

٥ ينظر: التفسير الكبير ٢١/١٥٥؛ والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١-٢٢.

والذي يبدو راجحا هو قول الجمهور، فقد كان صغيرا، وإلا لما قال موسى عليه السلام: ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ فلو لم يكن صغيرا ما قال هذا، فما يدرية أنه لم يذنب، ولم يقتل؟ إذ البالغ لا يخلو من ذنب إلا المعصوم، وهو بالسياق أليق، ويؤكد قراءه (زاكية)، وأختارها إمام القراءة واللغة أبو عمرو بن العلاء البصري قراءة له، موافقة لحال الغلام؛ لأنه فسر (الزاكية) بأنها التي لم تذنب قط، و(الزكية) التي أذنبت ثم تاب. ^(١) لكون (زاكية) من زكى اللززم، وهو يقتضي أنه زكاته ليست بفعل آخر، وإنما هو ثابت له في نفسه، و(زكية) بغير ألف بمعنى مزكاة، أي: أن تطهيره من الذنوب كان بفعل فيه له، ويكون بالمغفرة. ^(٢)

وقد جاء في حديث ابن عباس عن أبي مرفوعا تفسير: زكية بصغيرة. ^(٣) وذكر أنه وجده يلعب مع الصبيان، ففي صحيح البخاري: «فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان»، ^(٤) وهو تفسيره باللائم. ^(٥) وفي رواية عنه أيضا في جوابه عن سؤالات نجدة الخمسة، ومنها عن حكم قتل صبيان المشركين، قال ابن عباس: «وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي»، ^(٦) فتعين أنه كان صبيا لم يبلغ، وورد برواية في "صحيح مسلم" مرفوعا ما يفيد ذلك: «(وَأَمَّا الْغُلَامُ) فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أُنْزِكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا». ^(٧) فقله: (فلو أنه أدرك) يشير إلى أنه كان صغيرا، مما يرجح القول بهذا. وقد أكد ابن عباس تفسيره بالصغير، قال البغوي:

١ ينظر: البحر المحيط ٦/١٥٠.

٢ ينظر: روح المعاني ١٥/٣٣٩.

٣ ينظر: سنن أبي داود، رقم: (٤٠٨٤) باب القدر.

٤ صحيح البخاري، رقم (٣١٤٩) باب حديث الخضر مع موسى.

٥ روح المعاني ١٥/٢٣٩.

٦ صحيح مسلم: (٣٣٧٧) و(٣٣٧٩)، باب: النساء الغازيات يُرَضَّخُ لهنَّ ولا يُسَهَّم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب.

٧ صحيح مسلم: برقم: (٤٣٨٦)، باب: من فضائل الخضر عليه السلام.

«قال ابن عباس: كان غلاما لم يبلغ الحنث. وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفسا زكية إلا وهو صبي لم يبلغ».^(١)

وأما أنه قال: (بغير نفس) فالمراد التنبيه على أنه قتله بغير حق، كما يظهر منه، وخص القصص بالنفي لأنه الأنسب بمقام القتل، أو أن شرعهم كان يوجب القصص على الصبي، كما أنه في شرعنا يؤخذ بغرامة المتلفات. وأما إطلاقه على الكبير فهو من باب المجاز بدلالة السياق. وأما وصفه بالكافر فذلك تسمية بما يؤول إليه لو عاش كما جاء في الروايات الأخرى.^(٢)

القرية التي أتياها:

وأما اسم القرية؛ فقد اختلف فيه اختلافا كثيرا، فقال الأكثر: إنها إنطاكية، وحكي هذا عن ابن عباس، وقيل: الناصرة، وهي على ساحل البحر من أرض فلسطين، عن ابن سيرين: الأيلة، وقيل غير ذلك.^(٣) ولعل بقاء اسمها مجهولا مع موافقته لمنهج القرآن الكريم في القصص، يأخذ منها ما تعلق به الاعتبار والعظة، فإن فيه سترا عليها، مراعاة لحال من سيأتي بعدهم، فيلحقهم من عارها ما لحق أسلافهم بالانتساب إليها. والله أعلم.

خامساً- مكان القصة وزمانها:

لم يبين القرآن الكريم لنا من ذلك شيئا فأخفاه غيبا كما هي طبيعة القصة هذه المبنية على علم الغيوب، وطبيعة القصص القرآني كله بأن يأخذ من القصة ما يؤدي وظيفتها ودورها في الاعتبار، تلميحا إلى أن الأمكنة والأزمنة والأشخاص لا يغيرون من سنن الله شيئا، وأن النتائج تتحقق بقيام أسبابها بصرف النظر عن

١ معالم التنزيل، البغوي/٥/١٩١.

٢ شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٤٠.

٣ جامع البيان ١٨/٧٨؛ تفسير ابن كثير ٥/١٨٤؛ وروح المعاني ١٦/٢-٣.

شخصها وأماكنها وأزمانها. واكتفى القرآن ببيان بعض ذلك تلميحاً أحياناً كمجمع البحرين، وتصريحاً كموسى.

وإن النظر في الأخبار المتعلقة بالقصة لا دلالة فيها على وقوع أحداث القصة في مكان أو زمان معين، فالأخبار متضاربة في تحديد هذه المكان، وأما الرواية التي أخرجها الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس والتي تفيد بأنه لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر، فلما استقرت بهم البلاد، كانت تلك القصة.^(١) فقد ردها المحققون لضعفها الشديد.

قال ابن عطية: ما يرى قط أن موسى أنزل قومه بمصر إلا في هذا الكلام، وما أراه يصح، بل المتظافر أن موسى عليه السلام توفي في أرض التيه قبل فتح ديار الجبارين.^(٢)

ولهذا اختلفوا كثيراً في زمان ومكان وقوعها، فهل كانت أثناء التيه، أم قبله، أم بعده. وقد ذكر القرآن الكريم أن لقاءهما كان في: ﴿مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾، واختلفوا في تعيين المراد بهذين البحرين، ومجمع التقائهما، فقيل هو: المكان الذي فيه يلتقي البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط. وقيل: والمجمع: الملتقى، وهو اسم مكان. والبحران: البحر العربي مما يلي المشرق، والروم مما يلي المغرب، روى هذا عن مجاهد وقتادة وغيرهما. وقيل البحرين: بحر الأردن وبحر القلزم. وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، يعني في أقصى بلاد المغرب، وهو قول بعيد، وقيل غير ذلك.^(٣) ولا توجد رواية فيها يطمأن إليها.

وقال بعض العلماء: والأرجح - والله أعلم - أن مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزم. أي: البحر الأبيض والبحر الأحمر. ومجمعهما: مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح. أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر

١ جامع البيان ٦٧/١٨؛ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٢٣٧٣/٧.

٢ المحرر والوجيز ٣٢٢/٤؛ روح المعاني ٣١٠/١٥-٣١١.

٣ جامع البيان ٥٥-٥٦؛ تفسير ابن كثير ١٧٤/٥؛ روح المعاني ٣١٢/١٥.

الأحمر. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر. (١)

واستظهر ابن عاشور من سياق القصة بأنها كانت في أرض فلسطين، فقال: إنها وقعت في مكان قريب من أرض التيه، وهي أرض فلسطين، ومجمع البحرين لا ينبغي أن يختلف في أنه مكان من أرض فلسطين. والأظهر أنه مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية، فإنه النهر العظيم الذي يمر بجانب الأرض التي نزل بها موسى وقومه. وكانت تسمى عند الإسرائيليين بحر الجليل، فإن موسى ﷺ بلغ إليه بعد مسير يوم وليلة راجلاً، فعلمنا أنه لم يكن مكاناً بعيداً جداً. (٢) وعلى أية حال فقد تركها القرآن مجملته فنكتفي بهذه الإشارة.

المبحث الثاني: الإشكاليات الموضوعية في القصة

اشتملت القصة على معان وقضايا تبدو في ظواهرها مشكلة أو غامضة، مما يستدعي الوقوف عندها لتبيين وجه الإشكال وجوابه.

أولاً- إشكالية اعتراض موسى بعد الوعد بالصبر مع العصمة:

حكى الله تعالى عن موسى ﷺ أنه قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، ثم اعترض عليه، فهل يتعارض الاعتراض بعد وعده بالصبر مع العصمة؟

احتج الطاعنون في عصمة الله الأنبياء بهذه الآية فقالوا: إن الخضر قال لموسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وقال موسى ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر، فيلزم إلحاق الكذب بأحدهما، وعلى التقديرين فيلزم صدور الكذب عن الأنبياء (عليهم السلام).

والجواب: إن هذا لا يتناقض مع صدق الوعد، ولا يطعن في العصمة، لما يأتي:

١ في ظلال القرآن ٥/٧١؛ والوسيط في تفسير القرآن، سيد طنطاوي ١/٢٧٣١.

٢ التحرير والتوير ١٥/٣٦٢.

أولاً- ما يَعلق بممانعة الخضر: فإن ممانعة الخضر ابتداء لصحبة موسى عليه السلام له، ومجيئه بكل تلك التأكيدات على عدم إمكانية صبر موسى معه؛ لأن الخضر يعلم بأنه سيأتي بأفعال غريبة ظاهرها منكر شرعاً، وباطنها الموافق لا يعلمه موسى، ويعلم أيضاً بأن موسى نبي مرسل بشريعة، وبحكم العلم الشرعي الذي عنده لا يصح له السكوت على ما ظاهره منكر في شريعته، وإليه أشار بقوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، فكانه قال له: أنا أعلم أنك ستنكر ما أنت معذور فيه؛ لأنك ما اطلعت على حكمته الباطنة والمصلحة الخفية التي أطلعت عليها.^(١) وهذا ما أشار إليه الخضر بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، إشارة إلى أنه على علم يعلمه هو ولا يعلمه موسى، كما أن العكس صحيح، فكل منهما على علم ومكلف بأمر من الله دون صاحبه، لاختلاف علمهما، على النحو الذي جاء في الصحيح من قول الخضر لموسى لدى التقائهما أول مرة: «إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ».^(٢) لهذا فإن قوله الذي قاله لموسى كان لما علم من أنه سيرى أموراً منكر ظاهرها في شريعته، والأنبياء لا يجوز لهم أن يصبروا على المنكرات، ومع ذلك يمتنع السكوت ويعسر التعليم، فلا بد أن ينتهي إلى النفرة والتقاطع، ويحصل الإنكار والافتراق.^(٣) وعليه فلا يتأتى اعتراضهم.

ثانياً: ما يَعلق بوعد موسى عليه السلام، فجوابه من وجوه:

١- إنه قيد الصبر وعدم المعصية بالمشيئة، ولا يلزم الكذب على التقيد؛ لأن المعنى مع هذه الحال: إن شاء الله صبرت ولم أعص لك أمراً، وإن شاء الله كان

١ تفسير ابن كثير ١٨١/٥.

٢ صحيح البخاري، رقم: (٤٣٥٦).

٣ معالم التنزيل ١٨٩/٥؛ التفسير الكبير ١٥٢/٢١-١٥٣؛ البحر المحیط ١٤٠/٦؛ وحاشية الجمل ٣٦/٣.

خلافه من غير تعمد. ^(١) فكانه قال: إن صبري وعدم معصيتي لك ليسا بيدي ولا بملك إرادتي، وإنما هما تبع لمشئته الله تعالى، وعندها لا إشكال في المخالفة.

يقول الرازي: (إن) تفيد الشك، فقوله: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا» معناه: ستجدني صابرا إن شاء الله كوني صابرا، وهذا يقتضي وقوع الشك في الخبر، وعدم الجزم به، فكانه يقول: إني لا أعلم على الحقيقة هل الله يريد كوني صابرا أم لا. ^(٢) ولا سيما وأن مشيئته تعالى وإرادته الشرعية تقضي بعدم السكوت على المنكر. ولذلك جاء قوله تعالى لنبيه ﷺ: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» الكهف: ٢٣-٢٤، فأمره بأن يعلق الوعد المستقبلي بالمشيئة؛ لأنه لا خلف مع التعليق، يقول القرطبي: ^(٣) «وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدا كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله ﷻ، حتى لا يكون محققا لحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك، ولم يفعل، كان كاذبا، وإذا قال: لأفعلن ذلك إن شاء الله، خرج عن أن يكون محققا للمخبر عنه». ولو حلف مع التعليق لم يحنث. ^(٤) كما جاء عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من حلف فاستثنى فإن شاء مضى وإن شاء ترك عن غير حنث». ^(٥)

وقد يقال بأن التعليق هو من باب التيمن أو الخبر، وعليه فإن ذكر المشيئة إن كان للتعليق فلا إشكال في عدم تحقق ما وعد به؛ لأن الوعد معلق بها، فلا يقال: إنه ﷻ أخلف وعده، وإن كان ذكر المشيئة للتيمن، فإن الوعد كالوعد إن شاء لا يحتمل الصدق والكذب. وأن قول البعض بأن ذكر المشيئة للتيمن وهو لا يدل على

١ البحر المحيط ٦/١٤٨.

٢ التفسير الكبير ٢١/١٥٣.

٣ الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٨٥.

٤ الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٨٦؛ وتفسير ابن كثير ٥/١٤٩. وينظر الحديث: صحيح البخاري: (٥٢٤٢) ورقم (٦٧٢٠)؛ وصحيح مسلم: برقم (١٦٥٤).

٥ سنن أبي داود: (٢٨٣٩) باب الاستثناء في اليمين، قال الألباني: صحيح؛ والترمذي: (٤٧٣٣) باب من حلف فاستثنى.

التقييد، يزده: أن الاستدلال جار أيضاً على احتمال التيمن؛ لأنه لا وجه للتيمن بما لا حقيقة له.^(١) والحق أنه تعليق بالمشيئة حقيقة، فلا يمكن لمثل موسى عليه السلام أن يأتي بالمشيئة على أمر مستقبلي، ولا يدري أيكون موافقاً لشرعه، أم لا، ثم لا يعزم على المشيئة؟

وعلى القول بأن التعليق هو من باب الخير، فيجواب عنه: أنه حتى إن قيل على وجه الخبر فلا إشكال، لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد غير مستطاع فلا خلف.^(٢) بيد أن القول بأن التعليق كان على سبيل الخبر أمر مستبعد جداً، ولا وجه له، لاسيما من نبي؛ لأنه يبعد من حال موسى عليه السلام القطع بالصبر وعدم عصيان الأمر، بعد أن أشار له الخضر عليه السلام أنه ستصدر منه أمور منكرة مخالفة لشرعته، فلا يتصور منه غير اعتبار التعليق في الجملتين، ولذلك لم يأت به بعدهما، بل وسطه بين مفعولي الوجدان من الجملة الأولى لمزيد الاعتناء بشأنه، وللإشعار ابتداء بأن الأمر بيد الله. وبه يرتفع الإشكال.^(٣)

وأما قول القشيري: إن موسى عليه السلام وعد بشيئين: الصبر، وبأن لا يعصيه فيما يأمر به، فأمّا الصبر فَعَزَّه بالاستثناء بمشيئة الله فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ فصبر حتى وُجِدَ صابراً، فلم يقبض على يدي الخضر فيما كان منه من الفعل، والثاني قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ أطلقه ولم يُقَرِّنه بالاستثناء، فما استثنى لأجله لم يخالفه فيه، وما أطلقه وقع فيه الخلف.^(٤) فهذا مبني على أن جملة: ﴿وَلَا أَعْصِي﴾ معطوفة على: ﴿سَتَجِدُنِي﴾. وهو خلاف الأولى، فجملة: ﴿وَلَا أَعْصِي﴾ معطوفة على ﴿صَابِرًا﴾، فيكون التقييد بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ شاملاً للصبر ونفي

١ روح المعاني ٣٣٥/١٥.

٢ تفسير البضاوي ٥١٢/٣.

٣ روح المعاني ٣٣٤/١٥.

٤ لطائف الإشارات: القشيري ٤٠٨/٢؛ وروح المعاني ٣٣٤/١٥.

المعصية، قال ابن الأنباري: نفي العصيان منسوق على الصبر. والمعنى: ستجذني صابراً ولا أعصي إن شاء الله.^(١) والفعل يعطف على المفرد المشتق كما في قوله: «صَافَاتٍ وَيَقْبِضَنَّ» الملك: ١٩، بتأويل أحدهما بالآخر، أي: صابراً وغير عاص.^(٢) والمراد بالصبر الثبات والإقرار على الفعل وعدم الاعتراض، كما تتبى عنه المحاورات.^(٣)

وأن المشيئة قد تقدمت على الأمرين معاً اللذين وعد بهما، فلم يقل مثلاً: (ستجذني صابراً إن شاء الله ولا أعصي لك أمراً) أو: (ستجذني صابراً ولا أعصي لك أمراً إن شاء الله).

ووجه هذا التقديم: قدم ما فيه التيمن والاستعانة بالله تعالى؛ لعل به بصعوبة الأمر، ولأن هذا أليق بشأنه عليه السلام، وكذلك حتى لا يتوهم بأن المشيئة متعلقة بالصبر فقط لو أخرها بعده، ولا يتوهم بأنها متعلقة بالوعد بعدم معصيته لو أخرها عنهما، بتوهم أنها تعود لأقرب مذكور، فلما تقدمت عليهما وجاءت معترضة بين الفعل ومفعوله وما عطف عليه، أكدت التعلق بهما معاً، وأكدت ارتباط ما سبقها بما لحقها.

وعلى من قال بأن التقيد بالمشيئة مختص بالصبر؛ لأنه أمر مستقبلي ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه في الحال. ويجاب عنه: بأن الصبر ونفي المعصية متفقان في كون كل واحد منهما معزوم عليه في الحال، وفي كون كل واحد منهما لا يدري كيف حاله فيه في المستقبل.^(٤)

٢- إنه مقيد بقيد يعلم بقرينة المقام، مثل: إن أردت، أو إن لم يمنع مانع شرعي، أو غيره، فذلك لا إشكال. يقول الرازي: «يحمل قوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

١ روح المعاني ٣٣٤/١٥ نقله من قول ابن الأنباري.

٢ البحر المحيط ١٤٨/٦؛ وروح المعاني ٣٣٤/١٥.

٣ إرشاد العقل السليم ٢٣٥/٥؛ روح المعاني ٣٣٤/١٥؛ وفتح القدير ٢٩٩/٣.

٤ فتح القدير ٢٩٩/٣.

صَبْرًا ﴿ على الأكثر الأغلب، يعني: تأولا، وعلى هذا التقدير فلا يلزم ما ذكره. ^(١)

٣- إن موسى عليه السلام إذ وعد الخضر بالصبر، فقد كان منه وعد سابق عليه هو ألزم بوجوب الوفاء به، وهو وعده الله تعالى بأن يحمل رسالته، ويقوم على شريعته، فيأمر بما جاء بها من أوامر، وينهى عما جاء به من نواه، وقد تحرر أنه وفي بمقام الشرع الذي أقامه الله فيه، فلم يخل بمقام الصبر الذي ليس فيه ما يخالف ما يعرف ويمنع في الشرع، وكيف لا وهو من أولي العزم الذين قال الله تعالى لأشرف خلقه في التسليّة بسيرهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ﴾ الأنعام: ٩٠، وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أودى من بعض من كان معه في حنين، فتلون وجهه وقال: «يرحم الله موسى! قد أودى بأكثر من هذا فصبر». ^(٢)

فيكون وعده بالصبر وعدم معصيته مقيدا بما يمكن معه ذلك، ويدخل تحت الاستطاعة، وهذا يدخل تحته الإمكان الذاتي والإمكان الشرعي، بل الأخير ألزم، يقول أبو حيان: ^(٣) «وعده بوجدانه صابرا، وقرن ذلك بمشيئة الله، علما منه بشدة الأمر وصعوبته، إذ لا يصبر على ما ينافي ما هو عليه إذا رآه». فيكون وعده بالصبر على ما لا يخالف أمر الله تعالى وشرعه وإن لم يصرح به، أما فيما خالفه ظاهرا بحسب علمه فلا؛ لأنه مأمور بالإنكار فيه، مثاله مثال وجوب النكث باليمين في معصية، ^(٤) بل عند رؤية ما هو خير مما حلف عليه، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها

١ التفسير الكبير ٢١/١٥٣.

٢ صحيح البخاري: رقم (٣١٥٣) باب حديث الخضر مع موسى، ورقم: (٣٩٩٠) باب غزوة الطائف؛ ومسلم: رقم (١٧٥٩) باب إعطاء المؤلف قلوبهم..

٣ البحر المحيط ٦/١٤٨.

٤ ينظر في ذلك: الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٦٧-٢٧٥.

خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»^(١). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»^(٢). وفي رواية له عن عدي بن حاتم: «قُلَيَاتُ الذي هو خَيْرٌ وَلَيُتْرَكَ يَمِينُهُ»^(٣). وعند أبي داود: «من حلف على معصية فلا يمين له»^(٤).

لكن قد يقال: هذا يصح في الأول والثاني، دون الثالث، فلا إنكار شرعيا فيه، لأن ترك أخذ الأجرة مباح لا معصية، بل طاعة لمن نواها.^(٥) وجوابه: أنها كذلك في الثالثة؛ لأن إطعامهما مع حاجتهما الضرورية، وإضافتهما إذ طلباها منهم، أصبحت حقا عليهم. ويمكن أن تكون في شريعة موسى واجبة.^(٦) والأكل من عمل اليد أشرف أشرف من السؤال، فكيف عند الحاجة. وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٧).

وأما قول النبي ﷺ: «وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبِرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا»^(٨) فمعناه: صبر عن الإذن للخضر عليه السلام في مفارقتة في قوله: «إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا» يدل له رواية مسلم: «رحمة الله علينا وعلى موسى! لولا أنه عَجَلَ لرأى العَجَب، ولكنه أَخَذَتْهُ مِنْ

١ صحيح مسلم: رقم (٣٠١٩) باب نَذْب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

٢ صحيح مسلم: رقم (٣١١٥) الباب السابق.

٣ صحيح مسلم: رقم (٣١١٧) الباب السابق.

٤ سنن أبي داود: رقم (١٨٧٣) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، باب الطلاق قبل النكاح.

٥ تفسير ابن اطفيش ٤٠٢/٥.

٦ الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١١.

٧ صحيح البخاري: رقم (١٩٣٠) باب كسب الرجل وعمله بيده.

٨ البخاري: (٣١٤٩) باب حديث الخضر مع موسى. وذمامة أي: استحياء. النووي على صحيح مسلم ١١٦/٨.

صاحبه ذَمَامَةً»^(١).

٤- إنه مقيد بقرينة قولية هي قوله: ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ أي: علما ذا رشد، ويحتمل أن يكون الرشد راجعاً إلى الخضر، أي: مما علمك الله وأرشدك به. أو أن يرجع إلى موسى، ويكون المعنى: على أن تعلمني وترشدني مما علمت.^(٢) فيكون قد وصف ما أراد معرفته وطلب منه تعليمه بأن يكون: ﴿رُشْدًا﴾، يعني: علما ذا رشد مما علمك الله؛ لأن العلم منه: غي يجتنب، ورشد يؤتى، فطلب منه تعليم الرشد الذي لا يعرفه، ولم يطلب تعلم الغي، وقد يكون علم ذلك في أفعاله، أو ظن ذلك من ظاهر قوله وحاله.^(٣) فاستأذنه باتباعه له بشرط التعليم لعلم ذي رشد. والرشد عند موسى ﷺ وبحسب علمه، أن لا يخالف الشريعة المنزلة عليه، ولا يأتي على مضادة ما أمره الله به وأوحاه إليه.

وهو ما يفهم أيضا من تعدية الفعل: بحرف الاستعلاء (على)، فإن (على) مستعملة في معنى الاشتراط، لأنه استعلاء مجازي، فصيغة: أَفْعَلُ كذا على كذا، من صيغ الالتزام والتعاقد.^(٤)

فقد قال الأصوليون: إِنَّ (على) قد يُسْتَعْمَلُ في معنى يفهم منه كون ما بعدها شرطا لما قبلها كقوله تعالى: ﴿يُبَايِعُنكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ الممتحنة: ١٢، أي: بشرط عدم الإشراك، ولا خفاء في أنها صلة للمبايعة، يقال: بايعناه على كذا. وفي "التلويح": «وكونها للشرط بمنزلة الحقيقة عند الفقهاء لأنها في أصل الوضع للالزام، والجزاء لازم للشرط».^(٥) ولهذا قال أبو حنيفة: إذا قالت لزوجها: طلقني ثلاثا

١ مسلم: رقم (٤٣٨٦) باب من فضائل الخضر.

٢ التفسير الكبير ١٥٠/٢١. وينظر: مشكل إعراب القرآن ٤٤٦/١؛ والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء ١٠٦/٢.

٣ النكت والعيون ٣٢٦/٣؛ وتفسير ابن عبد السلام ٣٢٤/٣.

٤ التحرير والتنوير ٣٧٠/١٥.

٥ شرح التلويح على التوضيح ٤٤٠/١. وينظر: كشف الأسرار ١٧٥/٢؛ البحر المحيط في أصول أصول الفقه ٤٩/٢؛ وروح المعاني ٣٣١/١٥.

ثلاثاً على ألف فطلقها واحدة لا يجب المَال لأن الكلمة ههنا تفيد معنى الشرط فيكون الثلاث شرطاً للزوم المَال.^(١)

وأكد السرخسي أنه معنى حقيقي لها لكن النحاة لم يتعرضوا له، ويقول: ^(٢) «وَأَمَّا (على) فهو للإلزام باعتبار أصل الوضع، لأن معنى حقيقة الكلمة: من علو الشيء على الشيء وارتفاعه فوقه، وذلك قضية الوجوب واللزوم، ولهذا لو قال: لفلان علي ألف درهم، أن مطلقه محمول على الدين، إلا أن يصل بكلامه وديعة، لأن حقيقة اللزوم في الدين. ثم تستعمل الكلمة للشرط، باعتبار أن الجزاء يتعلق بالشرط، ويكون لازماً عند وجوده. وبيان هذا في قوله تعالى: ﴿يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً﴾ الممتحنة: ١٢، وقال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الأعراف: ١٠٥، وعلى هذا قال في "السير": إذا قال رأس الحصن: آمنوني على عشرة من أهل الحصن، إن العشرة سواه، والخيار في تعيينهم إليه، لأنه شرط ذلك لنفسه بكلمة (على)، بخلاف ما لو قال: آمنوني وعشرة أو فعشرة أو ثم عشرة، فالخيار في تعيين العشرة إلى من آمنهم، لأن المتكلم عطف أمانهم على أمان نفسه، من غير أن شرط لنفسه في أمانهم شيئاً».

وقال الآلوسي: ^(٣) «والحق أنه استعمال صحيح، يشهد به الكتاب حقيقة كان أو مجازاً، ولا ينافي انفهام الشرطية تعلق الحرف بالفعل الذي قبله، كما أنه لا ينافيه تعلقه بمحذوف يقع حالاً كما قيل به هنا، فيكون المعنى: هل اتبعك بأذا تعليمك إياي: ﴿مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْداً﴾ أي: علماً ذا رشد، وهو إصابة الخير». وعلى هذا فلا إشكال.

٥- من العلماء من حمّله على النسيان ليرد احتمال أن يكون التعليق من باب الخبر، فقالوا: إن كان كذلك فإن ما صدر منه عليه السلام في المرتين الأخيرتين

١ ينظر: أصول البزدي: ١١٠؛ وأصول الشاشي: ٢٢٩؛ وكشف الأسرار ١٧٥/٢.

٢ أصول السرخسي ٢٢١/١-٢٢٢.

٣ روح المعاني ٣٣١/١٥.

كانا نسياناً كما في المرة الأولى، ولا يضر مثل هذا الخلف بمقام النبوة لأن النسيان عذر.

لكنه يشكل على التعلل بالنسيان في المرتين الأخيرتين ما في البخاري وغيره: «كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً»،^(١) وقال بعضهم: لك أن تقول: لم يقع منه عليه السلام ما يخل بمقامه، لأن الخلف في المرة الأولى معفو عنه، وحيث وقع لم تكن الأخيرتان خلفاً، وفيه تأمل.^(٢) وفي الإجابات السابقة كفاية، وبها يزول الإشكال.

المسألة الثانية: واحتج الطاعنون أيضاً في عصمة الأنبياء (عليهم السلام) بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَاهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا﴾ من جهة أنه ثبت بالدليل أن ذلك العالم كان من الأنبياء، ثم قال موسى عليه السلام: ﴿أَخْرَجْنَاهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا﴾، فإن صدق موسى في هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي، وإلا، دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام.

والجواب عن احتمال كون الخضر نبياً:

١- لما شاهد موسى عليه السلام منه الأمر الخارج عن العادة، وشاهد ذلك الأمر المنكر بحسب الظاهر نسي الشرط المتقدم، فلهذا المعنى قال ما قال، لا لأجل أنه اعتقد فيه أنه فعلاً قبيحاً، بل لأنه أحب أن يقف على وجهه وسببه، وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه: إنه إمر، يقال: أمر الإمر إذا عظم.

٢- إن الخضر فعل ذلك بتعليم من الله تعالى، فجاء فعله حقاً وصدقاً، وموسى

١ صحيح البخاري: (٢٥٢٦) باب الشروط مع الناس بالقبول، ورقم (٤٣٥٧) باب فلما بلغا مجمع بينهما. قال الغني: قوله: (نسياناً) حيث قال: ﴿لَا تَوَاضَعُنِي بِمَا نَسِيتَ وَشَرَطًا﴾ حيث قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ وَغَمَدًا حيث قال ﴿لَوْ سِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. تحفة الأحوزي/٨/٤٧١.

٢ روح المعاني ٣٣٤/١٥.

قال ما قال بحسب العلم الظاهر الذي عنده، فقال ما قال صدقا وحقا، فهو بحسب ما عنده من علم الوحي، وما تقتضيه شريعته لم يقل كذبا. فكأنه قال: لقد جئت بما ظاهره منكرا في الشريعة الموحاة علي^(١).

ثالثاً - إشكالية تعلم النبي من هو دونه:

هل يتنافى كون موسى عليه السلام صاحب شريعة أن يتعلم ممن هو دونه؟ قال بعضهم: في ذلك إشكال. وللتخلص قالوا بأن الخضر أيضا رسول. والحق أنه لا تنافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره، ما لم يكن في باب من أبواب الدين المبعوث به، فإن الرسول يجب أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به.^(٢) أما فيما سوى ذلك فلا إشكال أن يتعلم من غيره، فقد قال النبي ﷺ في قصة تأبير النخل: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».^(٣) ورجع يوم بدر إلى قول المنذر بن الحارث في أن المنزل الذي نزل به جيش المسلمين ببدر أول مرة ليس الأليق بالحرب، بعد أن قال لهم: أشيروا علي في المنزل.^(٤)

ومعنى كون هذا العبد أعلم من موسى عليه السلام: أنه يعلم علوماً من معاملة الناس لم يعلمها الله لموسى. كما أن موسى على علم علمه الله لا يعلمه الخضر، على نحو ما جاء في الحديث الصحيح من قول الخضر لموسى: «إني على علم من علم الله، ما علمه الله، وأنت على علم من علم الله، ما علمه الله».^(٥) فال تفاوت في العلم في هذا المقام تفاوت بفنون العلوم، وهو تفاوت نسبي. وهذا العلم الذي سأل موسى تعلمه هو من العلم النافع الذي لا يتعلق بالتشريع للأمة الإسرائيلية، فإن

١- التفسير الكبير ١٥٤/٢١؛ وتفسير البيضاوي ٥١٢/٣.

٢- التفسير الكبير: ١٥٢/٢١، فتح الباري: ٢١٩/١ وحاشية الجمل: ٣٦/٣.

٣- صحيح مسلم: رقم: (٤٣٥٨) باب وجوب امتثال ما قاله، وسنن ابن ماجه: (٢٤٦٢) باب تلقيح النخل. ومسنند أحمد: (١٢٠٨٦) حديث أنس بن مالك..

٤- زاد المعاد: ١٥٣/٣.

٥- صحيح البخاري: (٤٣٥٦).

موسى مستغن في علم التشريع عن الازدياد إلا من وحي الله إليه مباشرة، وما عدا ذلك لا تقتضي الرسالة علمه.^(١)

رابعاً - إشكالية نسيان الحوت ومثله لا ينسى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَازْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) ﴾

وهنا قد ينشأ سؤالان: الأول: كيف نسي يوشع الحوت في الحال والمعنى الذي مثله لا ينسى؟ فهو أمانة لهما على الطلبة التي تتاهضا من أجلها، وأنه خبر تضمن معجزات عدة بارهة لا يمكن للذهاب الانشغال عنها، منها: حياة السمكة المملوحة الميتة، المأكول منها بعضها، حتى ورد أنها: ما كانت إلا شق سمكة، وانقلابها حية في مثل هذا غريب وعجيب، ومنها: أن تخرج من المكمل وتذهب في البحر حالة غريبة عجيبة أخرى، والمعجزة الثالثة: قيام الماء وانتصابه مثل الطاق، ونفوذها في مثل السرب منه. ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (الغداء)؟ فكيف يعقل بعد كل هذا حصول النسيان له؟ وقد يجاب عنه بوجوه، ولا مانع من اجتماعها في النكتة، من أظهرها:

١- لما استعظم موسى علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري، تنبيهها لموسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله وحفظه على القلب والخطر،^(٢) وأنه تعالى قادر على نزع ما أودع القلب من العلم مع شدة تحفظ صاحبه عليه. فلا ينبغي له أن يوكل العلم إلى نفسه كما سبق في الحديث الصحيح

١- التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٦٣ و ٣٧٠.

٢ التفسير الكبير ١٤٦/٢١.

«فَسئِلْ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ: «فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ».

٢- وقد يقال: إنه أنسى تأديبا وتعلما له بناء على ما تقدم منه من أن موسى عليه السلام لما قال له: لا أكلفك الخ، قال له: ما كلفت كثيرا، حيث استسهل الأمر، ولم يظهر الالتجاء فيه إلى الله تعالى بأن يقول: أخبرك إن شاء الله تعالى.

٣- في نسيان يوشع عتاب لموسى، حيث اعتمد عليه في العلم بذهاب الحوت ولم يعتمد على نفسه وهو صاحب الحاجة، فلم يحصل له التذكر حتى حصل له النصب.^(١)

٤- هذه الحال وإن كانت غريبة لا يُعهد نسيانها، لكن يوشع كان قد شاهد من موسى في سفره هذا المعجزات القاهرة كثيرا، فاستأنس بأخواتها بمشاهدة أمثالها، فلما تعود على مشاهدة أمثالها وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها، فأعان الإلف على قلة الاهتمام، ولم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم لا تؤثر معه الوسوسة، فجاز حصول النسيان.^(٢)

٥- لعله شغل بوساوس في الأهل ومفارقة الوطن وغيرها، أي: شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب، فكان ذلك سببا للنسيان بتقدير العزيز العليم.^(٣)

٦- في إنساء الله ليوشع أن يتيقظ موسى وفتاه لمنة الله علي المسافرين في طاعة الله وطلب العلم بالتيسير عليه، وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل بها ما دام على تلك الحالة. وحالة الإيقاظ: أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة تجاوزه بونا بينا، حيث لم ينصب إلا أن تجاوزه، وإن كان موسى متيقظا فالمطلوب تيقظ

١ روح المعاني ٣١٧/١٥-٣١٨.

٢ الكشف ٤٩١/٢؛ التفسير الكبير ١٤٦/٢١؛ البحر المحيط ١٤٧/٦؛ وإرشاد العقل السليم ٢٣٣/٥.

٣ الكشف ٤٩١/٢؛ البحر المحيط ١٤٧/٦؛ وروح المعاني ٣١٧/١٥.

غيره ممن تقص عليهم قصته.^(١)

ثم إن هذه الوسوسة لا تضر بمقام يوشع ولا بمقام موسى (عليهما السلام)، وإن قلنا إنه كان نبيا وقت وقوع هذه القصة.^(٢) إذ الوسوسة والنسيان جائزان.

الثاني: إنه نسب أولاً النسيان إليهما معا (فنسيا حوتهما)، ثم نسب إلى فتاه وحده

فيما بعد (فإني نسيته الحوت)، أوليس في هذا تناقض؟ وجوابه:

- وقال تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ثم قال بعده: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾، فنسب النسيان أولاً إليهما، ثم ذكر على لسان فتاه بأن النسيان كان من أحدهما فقط، وهو فتاه موسى عليه السلام، فما علة هذا الاختلاف في التعبير؟

وقد ذكر في ذلك وجوه، فقيل: كان النسيان حقيقة من فتي موسى، وقد يسند الشيء إلى الجماعة وإن كان الذي فعله واحد منهم، وهذا مستعمل في اللغة.^(٣) وإنما جاز أن يقال: (نسيا) لأنهما كانا جميعا تزوداه لسفرهما، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما، كما يقال: خرج القوم من موضع كذا، وحملوا معهم كذا من الزاد، وإنما حملة أحدهما، ولكن لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم.^(٤)

إلا أن مثل هذا التوجيه لا يعدو أن يكون تصحيحا للكلام لغة، دون بيان مزية التعبير ووجهه. فلو كان محضاً من أحدهما فما الوجه في أن ينسبه أولاً إليهما معا، ثم يخص يوشع وحده، فلم لم يقل: فلما جاوزا نسي حوته؟

والذي يدل له السياق أن النسيان وقع منهما معا، لكن التعبير اختلف نتيجة اختلاف القائل والحال والجهة المنظورة فيه، فإن القول الأول هو إخبار من الله عما

١ الإنصاف، ابن المنير ٤٩١/٢. على هامش "الكشاف".

٢ روح المعاني ٣١٨/١٥.

٣ معاني القرآن، الفراء ١٥٤/٢؛ والبحر المحيط ١٤٥/٦.

٤ جامع البيان ٥٧/١٨؛ والمحضر الوجيز ٥٢٩/٣.

كان منهما لدى بلوغهما المجمع وارتحالهما عنه، فأخبر عزل وجل عن ما يعلمه سبحانه من وقوع النسيان منهما معاً، فكل منهما نسي ما هو من شأنه، والقول الثاني هو قول يوشع يخبر به عما حصل له.

فموسى نسي أن يتحرى عنه بعد استيقاظه من نومه في مجمع البحرين، ونسي أن يسأل عنه ويتفقدّه عند الارتحال؛ أباق هو في مكتبته أم لا؟ وترك أمر تعهده إلى فتاه، وهو القاصد لهذا العمل، فكان يهمله تعهده ومراقبته. وما كان له أن ينشغل عنه، فهو شأنه وحاجته دون يوشع.^(١)

وأما نسيان يوشع الأول فقد نسي أمر حفظه، وكان الحوت معه فانشغل عنه، فذهب في البحر، ونسي تفقده عند الارتحال عن مجمع البحرين، ونسي أن يخبر موسى عن حياته وعن ذهابه في البحر بعد استيقاظ موسى من النوم. ولم يتذكر حاله التي رآها منه. ولا يمنع من قوله (نسيت) أن لا يكون صاحبه نسي أيضاً مثله. فلما نسي كل منهما دوره وواجبه باتجاه الحوت صح نسبة النسيان إليهما معاً. فإسناد النسيان إليهما كان حقيقة باعتبار هذه الحال.^(٢) قال الزجاج:^(٣) «كان النسيان من يوشع أن يقدمه، وكان النسيان من موسى أن يأمره فيه بشيء». وقال الزمخشري: أي: نسيا تفقد أمره، وما يكون منه مما جعل أمانة على الظفر بالطلبة.^(٤)

ولما كان القول في الثانية من قول يوشع أخبر به عن نسيانه هو، باعتباره هو المكلف بحمله والموكول إليه شأن مراقبته، قال مخبراً عن نفسه: «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ»؛ لأنه هو الناسي لهذا حقيقة، فهو المشاهد لحياته دون موسى، فقد رأى

١ روح المعاني ٣١٤/١٥ و٣١٧؛ والتحرير والتنوير ٣٦٥/١٥.

٢ روح المعاني ٣١٤/١٥.

٣ معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣. وينظر: البحر المحيط ١٤٥/٦.

٤ الكشف ٤٩١/٢.

ذلك منه ونسي أمره، ونسي أن يخبر موسى بما حصل له.^(١) وهذا نسيان آخر غير النسيان الأول، فهذا نسيان ذكر الإخبار عنه.^(٢)

خامساً - إشكالية الإقدام على الاستطعام:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا﴾، وههنا سوالات:

الأول: إن الاستطعام ليس من عادة الكرام، فكيف أقدم عليه موسى والخضر، وهل يليق بمثلهما؟

والجواب: أن إقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع، وقد يجب عند خوف الضرر الشديد حفظاً للنفس.^(٣) وهما - فيما يظهر من سياق القصة والحال - كانا كذلك، فقد جاء برواية الشيخين أنهما لما جاوزا ما فيه المقصد من مجمع البحرين، «فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيَّلَتُهُمَا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى: ﴿لِفَتَاهُ أَتَبَا. غَدَا عَلَيْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾».^(٤) والمراد به الحوت على ما ينبئ عنه ظاهر الجواب.^(٥) ومنذ تجاوزه للمجمع حتى التقى بالخضر لم يطعم؛ لأن ما تزود به موسى قد سرب في البحر، وهي مدة ليست قصيرة بقياس تتابع الأحداث حتى القدوم إلى القرية، ولا يظهر من السياق أنه والخضر تناولا طعاماً أو تزودا به بعد التفائهما، وهذا يدل على أنهما كانا بحاجة شديدة إليه، ولذلك طلباه.

١ روح المعاني ٣١٤/١٥ و٣١٧؛ والتحرير والتنوير ٣٦٥/١٥.

٢ التحرير والتنوير ٣٦٧/١٥.

٣ التفسير الكبير ١٥٦/٢١؛ والجامع لأحكام القرآن ٢٥/١١.

٤ صحيح البخاري: رقم (٤٣٥٦) باب وإذا قال موسى لفناه؛ ومسلم: رقم (٤٣٨٥) باب فضائل الخضر.

٥ المحرر الوجيز ٣٢٣/٤ وذكر هنا لطيفة حيث قال: قال أبي: سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوماً لم يحتج إلى طعام، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم.

السؤال الثاني: إن الضيافة من المندوبات، فتركها ترك للمندوب، وذلك أمر غير منكر، فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه، أنه غضب عليهم الغضب الشديد، الذي لأجله ترك العهد الذي التزم به مع ذلك العالم في قوله: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾؟ وأيضاً مثل هذا الغضب لأجل ترك الأكل في ليلة واحدة لا يليق بأدون الناس فضلاً عن كليم الله؟ لا سيما وأن موسى كان من عادته عرض الحاجة وعدم طلب الطعام، ألا ترى أنه تعالى حكى عنه أنه قال في قصته عند ورود ماء مدين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص: ٢٤.

والجواب من وجوه:

١- أما القول بأن الضيافة من المندوبات فنقول: قد تكون من المندوبات، وقد تكون من الواجبات، بأن كان الضيف قد بلغ في الجوع إلى حيث لو لم يأكل لهلك، وإذا كان التقدير هو هذا لم يكن الغضب الشديد لأجل ترك الأكل يوماً.

٢- ومع ذلك فإنه أراد مقابلة حرمانهم لحق الضيافة بحرمانهم من إقامة الجدار في قريتهم توبيخاً لهم وتربية، وإشعار بتقصيرهم وسوء أخلاقهم، فهو عليه السلام صاحب شريعة ومعلم.^(١)

٣- إنه حق لهما تدعو إلى استيفائه حاجة ماسة، فلم يطلب من الخضر أن يستطعمهم مرة أخرى مقابل إقامة الجدار، وإنما أخذ الأجر على العمل، مع الحاجة إليه، وإن أكل المرء من عمل اليد أشرف وأعف، وهو منهج الأنبياء (عليهم والسلام)، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنْ نَبِيَ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».^(٢) والله أعلم.

١- التحرير والتنوير ٨/١٦. وقال: إن الضيافة عند مالك وأبي حنيفة والشافعي حق للضيف، وعند أحمد فرض.

٢- صحيح البخاري: رقم (١٩٣٠) باب كسب الرجل وعمله بيده.

وقد يقال: إنه لم يبلغ في الجوع إلى حد الهلاك بدليل أن الخضر قد أقام الجدار، ولو بلغ بهما الجوع حداً بالغاً ما كان أمكنه بناء الجدار؟ وأن موسى قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾، فكيف يصح منه طلب الأجرة؟ والجواب من وجوه:

١- إن حد الجوع الشديد ليس معناه أن لا يقدر معه على شيء من الكلام، ولا على شيء من العمل، فمثل ذلك الحال هو وقوع في الهلاك فعلاً، وحد الجوع هو ما يخشى معه الوقوع في الهلاك لا الوقوع فيه، والواجب هو توقي الوقوع فيه، ولعل ذلك الجوع كان شديداً إلا أنه ما بلغ حد الهلاك.^(١)

٢- إن العمل قام به الخضر لوحده، والطلب كان من موسى وحده.

٣- إنه حصل بطريقة معجزة، ليس فيها إرهاب وجهد، فليس هو القيام بإعادة بنائه، وإنما تثبيته وإقامته من أن ينقض، ولذلك قال: ﴿فَأَقَامَهُ﴾ ولم يقل: (فبناه) أو نحوه، وقد نص الحديث الصحيح على أنه أقامه بمسحة من يده فاستقام، فلم يقتض أكثر من أن قال الخضر بيده هكذا فَأَقَامَهُ.^(٢) والأجر يطلب على تنفيذ العمل كيفما تم به، لا على حصول المشقة بسببه. فلا منافاة في طلب الأجر وما يليق بسيدنا موسى عليه السلام.

السؤال الثالث: إن هذه الآية تفيد حل الكنية، والسنة جاءت بتحريمها، وهذا تناقض، والجواب:

١ - إن السؤال من غير حاجة ماسة وملجئة حرام، فهي تتعارض مع مقتضى الاستخلاف في الأرض، وأكل المال بالباطل، وامتهان للكرامة التي قررها الله تعالى

١ التفسير الكبير ٢١/١٥٦؛ وروح المعاني ١٦/٧.

٢ صحيح البخاري: رقم (١١٩) باب ما يستحب للعالم، و(٤٣٥٦ و ٤٣٥٨) كتاب التفسير، و(٢٠١٦) باب إذا استأجر أجير؛ ومسلم: (٤٣٨٥) فضائل الخضر؛ ومسند أحمد: (٢٠١٩٩) حديث ابن عباس.

للإنسان بمجرد وصف الإنسانية، فكيف مع وصف الإيمان، يقول الشوكاني: (١)
«فَمَنْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى جَوَازِ السَّوَالِ وَحَلِّ الْكُذْبَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً بَيِّنًا، وَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ:

فَإِنْ رُدِدْتُ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ عَلَيَّ قَدْ رَدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ

وقد ثَبَّتَ فِي السَّنَةِ تَحْرِيمَ السَّوَالِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ دَفْعُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ
الكثيرة».

٢- إن قوله: «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا»،
فيه دلالة على استبعاد أن يكون استطعامهما هو من باب الكدية، وإنما هو من باب
طلب الضيافة، فلم يقل: (فأبوه) أو (أبو استطعامهما، أو إطعامهما) وإنما قال: (فأبوا
أن يضيفوهما)؛ ليفيد حقيقة مقصدهما، وأما قوله أولاً: (استطعما أهلها) بدلا من:
(استضافا أهلها فأبوا أن يضيفوهما) فكان ليفيد به أنهما مع كونهما ضيفين، وطلبا
حقهما في الضيافة، فإن طلبهما الضيافة لم يكن أكثر من طلب الطعام، وهو مطلق،
أي طعام، دون الميل بهما إلى منزل، وإيوائهما في محل، أو استراحة، أو ضيافة
إلى زمن، أو حمل زاد، فلم يتقلوا عليهم بالطلب، وإنما بما إليهما فيه حاجة، وما
بمقدور أهل القرية في العادات تقديمه، ومع ذلك أبوا، لزيادة التشنيع على أهل
القرية، ورسم صورة له في اللوم في غاية التفضيع. (٢)

وقد يقال: إذا كان هذا كذلك فلماذا لم يقل: (استضافا أهلها فأبوا أن يضيفوهما)؟
ويجاب عنه بعكس السؤال: ولماذا لم يقال: (استطعما أهلها فأبوا أن يطعموهما)؟
والحق أن بنية الجملة جاء على نحو هذا النظم لإفادة معان لا تستفاد لو وحد بين
الفاعلين، أو أضمر بدل الإظهار فيما حقه في الظاهر الإضمار.

سادساً- الوجه في جعل الحوت دليلهما:

في اختيار الحوت تتحقق جملة من النكات، نوضحها في الآتي:

١- في الحوت يجتمع الدليل والزاد، فهو الغذاء في السفر، وهو الدليل على العبد الصالح، فكان زادهما هو الحوت نفسه الذي جعل لهما علامة ودليلاً على الخضر، وهو يكفي زادا لأيام مناسبة لاحتمال طول مدة سفرهما، وفي ذلك تيسير عليهما في المطلوب والمحمول.

٢- إن أمر إحيائه بعد الأكل منه وذهاب بعض أجزاء جسمه أمر عجيب وغريب، يشد الانتباه إليه، فلا يفوتهما في العادات الاستدلال به على المطلوب، مع عناء السفر.

٣- إن جعل الدليل هو غذاؤهما نفسه يجعلهما غير منشغلين عنه، لحاجتهما إليه بوصفه زادا، وإن شغلا عن الاستدلال به فلا يمكن استمرار الانشغال عنه ونسيانه طويلاً، لتجدد الحاجة إليه، ألا ترى أنهما لما نسياه تذكراه عند الحاجة إلى الغذاء: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾، ولو كان زادهما غير ذلك لربما طال نسيانهما له، وازدادا مشقة.

٤- ثم أن يحيا وهو يمثل هذه الحالة مناسب للأحوال العجيبة التي سيُشاهدونها من الخضر. فكان بذلك من التمهيد ما فيه لموسى عليه السلام لما سيفاجأ به مع الخضر.

٥- الحوت حيوان مناسب لمكان العبد الصالح، كون الحوت من أحياء البحر، والعبد الصالح مكانه عند البحر، واللقاء به عند مجمع البحرين، على شاطئه أو في داخله أو في جزره، فهما لا يعلمان ذلك، فكان الحوت هو المناسب بأن يكون دليلاً لهما على مكانه إن كان في داخل جزر البحر أو كان على شواطئه، فحيث ذهب في جهات البحر فثُمَّ هو.

٦- ذكر العسقلاني سبباً آخر في جعل الحوت دليلهما لا غيره وهو: أن غيره لا



يؤكل ميتا بخلاف الحوت، والنص ورد بما يفيد كونه ميتا، «تزود حوتا مالحا»^(١).

٨- الحوت غذاء أهل الجنة، فأول ما يطعمونه كبد الحوت، جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه: «وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت»^(٢). وفي رواية مسلم في جوابه رضي الله عنه ليهودي سأله: فما تُحَفِّثُهُم حين يدخلون الجنة قال: «زيادة كبد النُّون»^(٣)، فكان في هذا تكريما لموسى عليه السلام، ومناسبة لمقامهن وتأنيسا له في سفره.

٧- إن الحوت تتوفر فيه من الخصائص الغذائية المناسبة للمسافر ما لا يتوفر في غيره من الحيوانات، فهو يزيد من النشاط، والقدرة على الحركة، وتحمل البرد بسبب تأثيره في الشرايين. وهو سهل الهضم فلا يخلف بعد امتصاصه إلا القليل من الفضلات.

وله قيمة غذائية عالية، ومردود بروتيني فائق، ويحتوي على مجموعة مهمة من الفيتامينات، فهو غني باليود وبالفيتامينات الذوابة في الدم، وغني بالكالسيوم وفيتامين (د) وفيتامين (أ) الضروري لسلامة البصر والجلد والأغشية المخاطية، ويمنع من الالتهابات الجلدية والمفاصل. وهو مصدر جيد للأحماض المعدنية، وخاصة اليود والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والفسفور والكلور والكبريت.

ونظرا لما يحتويه من نسبة كبيرة من الأحماض الأمينية ونسبة عالية من الفسفور المهم لبناء الأنسجة والعظام، فإن تناوله له قيمة بالغة في تغذية ونمو الدماغ وتهذئة المصابين باضطراب الذاكرة، ويزود الجسم بطاقة هائلة من القوة والتحمل والوقاية لا تتوفر في غير لحمه، وهو يخفض نسبة الكوليسترول، ويقلل نسبة الدهون في الدم، ويقي من تجلط الدم، ويحفظ من أمراض ضغط الدم^(٤). وكل هذا يناسب حال

١ فتح الباري ٨/٤١٤.

٢ صحيح البخاري: (٣٦٤٥) باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه.

٣ صحيح مسلم: (٤٧٣) باب صفة مني الرجل. والنون: الحوت.

٤ ينظر: الطب النبوي، ابن القيم ٢٤٥-٢٤٦؛ والأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت، د. حسن شمسي باشا، جدة (١٩٩٣م)؛ والإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد العجيلي، دمشق

المسافر في سفر شاق وطويل، وحاجتهما إلى شحذ الذاكرة، وفي أحوال من الطقس والمناخ المختلفة.

ثم إن لحمه له قابلية المحافظة للانتفاع به مدة طويلة فلا يتلف بسرعة، ألا ترى ما جاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه يقول: «غَزَوْنَا جَيْشَ الْخَبَطِ، وَأَمَرَ أَبُو عبيدة، فَجُعْنَا جَوْعًا شَدِيدًا، فَأُلْقِيَ الْبَحْرُ حَوْتَائًا لَمْ نَزِ مِثْلَهُ يُقَالُ لَهُ: الْغُنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ... فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعَمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ»^(١). فَبَقِيَ الْأَصْحَابُ يَأْكُلُونَ مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، ثُمَّ قَدَمُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَهَا وَأَكَلُوا مِنْهُ وَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ أَيْضًا.

سابعاً- وجه الجمع بين الأمور الثلاثة الصادرة عن الخضر:

ما الوجه في أن كانت أفعال الخضر جارية مع موسى عليه السلام في خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار؟ وما الوجه المشترك بين هذه الأمور الثلاثة؟
والجواب والله أعلم: إن هذه المسائل الثلاث التي كانت محور التعليم بين موسى والخضر (عليهما السلام) لها سر لطيف في الانتقاء من وجهين: أحدهما عام، والآخر خاص:

فالوجه الخاص: قال أرباب المعاني: هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وإعجاب له، وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟ فلما أنكر قتل الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكز القبطي وقضائك عليه؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين

(١٩٨٩م)، نقلاً عن بحث للدكتور: محمد نزار الدقر: (السّمك والحيتان)؛ ويبحث د. عاطف الهندي: (حيوانات ذكرت في القرآن) منشوران على الإنترنت، موقع إعجاز القرآن.

١ صحيح البخاري: (٤٠١٤) باب غزوة سيف البحر.

هذا من رفعك الحجر لبنات شعيب دون أجره؟^(١)

فهو يلمح بالمقارنة بين حال موسى واعتراضاته، ومثال مضروب له، لما تضمنته من التنبيه من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بما فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو من مثله سواء بسواء، فنبهه بخرق السفينة بما كان في ظاهره من هلك، أو تقويت حق له، وبما في باطنه من نجاة، على التابوت الذي أطبق عليه وألقي في اليم، خوفاً عليه من فرعون الغاصب، فكان ظاهره هلكاً وباطنه نجاة، ويقتل الغلام؛ على قتله القبطي في كون كل منهما معصوم الدم في الظاهر؛ لأن موسى لم يكن إذ ذاك يعلمه، لكونه لم ينبأ، وجاء موافقاً للحق في الباطن، وبإقامة الجدار من غير أجر: على سقيه لبنات شعيب (عليهم السلام) من غير أجر مع احتياجه لذلك، وكل منهما فيه تقويت لحقه في الظاهر، وكان في الباطن خيره أكبر نفعاً، فقد أعقبه بسقيه لبنات شعيب أن زوجه شعيب إحدى بناته، ورزقه خيراً بالعمل معه، وأمنه من خوفه، وتلا ذلك أن وهبه الله النبوة، وأكرمه بالتكليم.^(٢)

والوجه العام: أن هذه المسائل الثلاث مشتركة في شيء واحد، هو أن أحكام الأنبياء مبنية على الظواهر، والله يتولى السرائر، وهذا العالم ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور، بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، لأن الظاهر أنه يحرم التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم - كما في الأولى والثانية - من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف، لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر، وقتل الغلام تقويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر. والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة: تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر، وفي هذه المسائل الثلاث ليس حكم ذلك العالم فيها مبنياً على الأسباب الظاهرة المعلومة، وإنما كان مبنياً على أسباب معتبرة في نفس

١ المحرر الوجيز ٣٢٩/٤؛ البحر المحيط ١٤٠/٦؛ الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١١؛ فتح

الباري ٤١٨/٨؛ وروح المعاني ٨/١٦.

٢ ينظر: نظم الدرر ٤٩٥/٤.

الأمر. وإذا كان كذلك، فإن المسائل الثلاث مبنية على أنه عند تعارض الضريين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى، فهذا هو الأصل المعتبر في المسائل الثلاث.^(١)

ثامناً - وجه المفارقة عند الثالثة:

وقد ذكروا في ذلك وجوها، منها:

١- إنه بلغ عصيانه ثلاثاً؛ والثلاثة آخر حدِّ القلَّة، وأول حدِّ الكثرة، فلم يجد المسامحة بعد ذلك.^(٢)

٢- حد الثلاثة معتبر في كثير من الأحكام والآداب الشرعية، يقول ابن عطية:^(٣) «ويشبه أن تكون هذه القصة أيضاً أصلاً للأجل في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام التلوم ثلاثة».

٣- لأن هذه الثالثة غير منكورة لا ظاهراً ولا باطناً، فإن ترك الأجرة إحسان، بخلاف الأوليين، فظاهرها منكر. فلما أنكر عليه في الثالثة كانت المفارقة.^(٤)

٤- إن موسى عليه السلام قد اشترط على نفسه المفارقة عند الثالثة بقوله: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ فلما اعترض في هذه بعد الشرط والوعد قال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾. فلأنك شرطت هذا، فهذا سبب الفراق.^(٥)

٥- إنَّ سفره هذا كان سفر تأديب، لأنه لما سئل: أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا. فردَّ إلى تحمّل المشقة، وإلّا فهو حين سقى لبنات شعيب فإنَّ ما أصابه من التعب، وما كان فيه من الجوع أكثر، ولكنه كان في ذلك الوقت محمولاً، وفي هذا الوقت

١ التفسير الكبير ١٥٩/٢١.

٢ لطائف الإشارات، القشيري ٤١٠/٢.

٣ المحرر الوجيز ٥٣٢/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢/١١؛ وروح المعاني ٢٢/١٦.

٤ روح المعاني ٨/١٦؛ وتفسير اطفيش ٤١٥/٥.

٥ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٨٤/٥.

مُتَحَمِّلًا. فلما قال موسى هذا قال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.^(١)

٦- ويقال: ما دام موسى عليه السلام سألته لأجل الغير - في أمر السفينة التي كانت للمساكين، وقَتَلَ النَّفْسَ بغير الحق - لم يفارقه الخضر، فلمَّا صار في الثالثة إلى القول فيما كان فيه حظ لنفسه من طلب الطعام والأجرة ابْتُلِيَ بالفرقة.^(٢) وقد نقل عن ابن عباس في وجه قريب من هذا بقوله: لأن الثالثة لنفسه، والأوليين لله. ولعل هذا الخبر عن ابن عباس غير صحيح، لأنه لا يليق بأن يقال بحق نبي، ولا سيما من ابن عباس وهو المشهور بحسن الأدب في النقد للخصوم، فكيف مع الأنبياء.^(٣)

الخاتمة

بعد هذه الوقفات المقتضية من إحياءات هذه القصة المقتضية، يجدر بنا أن نلمح سريعاً إلى ما تقرر في الدراسة:

١- إن العبد الصالح (الخضر) عليه السلام صاحب موسى عليه السلام في هذه القصة، هو نبي على الأرجح، وليس رسولا، ولا مجرد ولي، إذ غير ممكن أن يقع ما وقع منه من قتل النفس الزاكية دون وحي، فلا يقع مثل هذا بمجرد الإلهام.

٢- إن الإلهامات لا تقوم بها حجة واستدلال عند المحققين من الصوفية، ومن اعتبرها فهي عنده لا تلزم أحداً غير أصحابها، سواء بتصديقها أو بالأخذ بها، وكل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل.

٣- إن الغلام كان صبيبا لم يبلغ الحلم، بدليل القراءة السبعية (زاكية)، وما ورد من إشارات إليه في السنة، وما قال به بعض السلف تصريحاً.

٤- إن خلف موسى عليه السلام لما وعد به الخضر بعدم الصبر لا يطعن في عصمته، ولا يقدح في مصداقية وعده؛ لأن وعده بالصبر معه وعدم معصيته له معلق على المشيئة، وأنه مشروط بتعليمه رشداً، وليس ما شاهده هو رشد بحسب ظاهره في

١ لطائف الإشارات ٢/٤١١.

٢ لطائف الإشارات ٢/٤١١.

٣ زاد المسير ٣/١٠٢؛ روح المعاني ٨/١٦، وقال: لا يصح الخبر هذا عن ابن عباس.



شريعته، فاقترض عليه شرعا إنكاره.

٥- إن استطاعهما أهل القرية لا يفيد دليلا على جواز الكدية، ولا يقدح في منصب موسى عليه السلام بعد الحاجة الشديدة إلى طعام الضيافة.

٦- اجتماع تلك الأحداث الثلاثة في طريق تعليم موسى من الخضر (عليهما السلام) فيها إشارة إلى ما يوافق أحوال موسى عليه السلام، وأن أحكام الأنبياء مبنية على الظواهر، وأن البواطن موكولة إلى علم الله وحكمه. وتجتمع في تقرير القاعدة (عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى).

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر

- ١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود (٩٨٢هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٢- الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوث: د. حسن شمسي باشا: جدة، ١٩٩٣.
- ٣- أصول البزدوي (كنز الوصول إلى معرفة الأصول): أبو الحسن علي بن محمد فخر الإسلام البزدوي (ت ٤٨٢هـ)، كراتشي، جاويد بريس.
- ٤- أصول السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
- ٥- أصول الشاشي: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد الشاشي (ت ٣٤٤هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، بيروت، عالم الكتب.
- ٧- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ)، طبعة بيروت، دار الفكر، ط ٢.
- ٨- الإنصاف: ابن المنير، علي هامش الكشف للزمخشري، طبعة بيروت، دار الفكر.

- ٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر البضاوي (ت ٦٨٥هـ)، بيروت دار الفكر، ١٩٩٦.
- ١٠- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وبيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.
- ١١- البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق د. محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٣- البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥هـ)، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
- ١٤- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٥- التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، تونس، دار سحنون.
- ١٦- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق د. عبد الله الوهبي، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٧- تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم الرازي، (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣، ١٤١٩ هـ.
- ١٨- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار طيبة، ١٩٩٩.
- ١٩- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣.
- ٢٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ١.
- ٢١- التيسير في القراءات السبع: أبو عمر الداني عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)

- تحقيق اوتو تريزل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م.
- ٢٣- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢٤- جامع البيان: ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م. والطبعة المحققة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ٢٥- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
- ٢٦- حاشية الجمل (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية)، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، مصر، عيسى البابي الحلبي.
- ٢٧- الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم؛ بيروت، دار الشروق، ط ٤، ١٤٠١هـ.
- ٢٨- حيوانات ذكرت في القرآن: بحث للدكتور عاطف الهندي منشور على الإنترنت، موقع إعجاز القرآن.
- ٢٩- الرسالة القشيرية: القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف.
- ٣٠- روح المعاني: أبو التناء الآلوسي (١٣٤٢هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، ١٩٨٥م.
- ٣١- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٢- السمك والحياتان: بحث للدكتور محمد نزار الدقر، منشور على موقع إعجاز القرآن.
- ٣٣- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

- ٣٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية.
- ٣٥- شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى النووي (٦٧٦هـ)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٦.
- ٣٦- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، اسطنبول، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٣٧- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي .
- ٣٨- الطب النبوي: ابن القيم: تحقيق السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.
- ٣٩- فتاوى ابن الصلاح: ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧.
- ٤٠- فتح الباري: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٩.
- ٤١- فتح القدير: الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، بيروت، دار الفكر.
- ٤٢- الكتاب: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٤٣- الكشف: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٤- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٤٥- لطائف الإشارات، القشيري، (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم بسيوني، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨١م.
- ٤٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.
- ٤٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣ هـ. ١٩٩٣م.

- ٤٨- مسند أحمد: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): الرياض ، دار الدعوة ، ٢ ، ١٩٩٢ .
- ٤٩- مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .
- ٥٠- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ): تحقيق حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
- ٥١- معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، الرياض، دار طيبة، تحقيق محمد النمر وآخرون، ١٩٩٧م.
- ٥٢- المعارف: ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م.
- ٥٣- معاني القرآن: أبو زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق يوسف نجاتي ومحمد النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٣، ٢٠٠١ .
- ٥٤- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت ٣١١هـ)، بيروت، عالم الكتب، ١، ١٩٨٨ .
- ٥٥- المقتضب: أبو العباس المبرد محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. بيروت، عالم الكتب.
- ٥٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٥٧- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية.

